مناجاة الموتى

توفي المستر ستد غريقاً في الباخرة تيتانك كما هو معلوم وكان من المعتقدين مناجاة الارواح المجاهرين بها يدّعي أن لروح بعض الموتى تناجيهِ من وقت الى آخر وتحرك قلمهُ فيكتب اموراً بعضها تافه وبعضها في حد الغرابة . وقد قامت ابنتهُ بعدهُ تدّعي دعواهُ وكتبت بالامس في مجلة ناش الانكليزية تقول

لما ابتدأ شهر يوليو من سنة ١٩١٤ موشحاً بالسلام قلما خطر على بال احد انهُ لا تمضي اربعة اسابيع حتى تنتشر فوق اوربا كلها سحابة حرب عامة . ولم ينصرم شهر اغسطس من تلك السنة حتى جعل الوف من شبابنا يتمرنون على الحركات الحربية مع ان ذلك لم يكن يخطر لهم ببال من قبل . فان جيشنا النظامي الصغير أرسل الى ميدان القتال وكانت البلجيك قد اجتيحت وكثيرون من رجالها ونسائها واولادها الذين لم تكن الحرب تخطر ببالهم كانوا قد قابلوا الموت وجهاً لوجه وغادروا هذه الحياة الدنيا وانتقلوا الى الاخرى . ولقد كان من حظ بعض الآباء والامهات ان سمعوا الكلمات الاخيرة من اولادهم الذين عادوا جرحى من ميادين القتال ولكن الاكثرين جاءهم نبي أولادهم او آبائهم او ازواجهن — سفكت دماؤهم في الذود عن وطنهم بعد ان خرج كل واحد منهم من بيتهِ وودع اهلهُ وهو ممتلئ قوة ونشاطاً . فقطرت اكباد ذويهم ولا يزالون يشعرون بلوعة الفراق

يُقال لهؤلاء تعزوا فان أولادكم وآباءكم وازواجكن ماتوا موتاً مجيداً سفكوا دماءهم في الدفاع عن وطنهم وسوف تلتقون بهم في امجاد السماء

ولكن لو استطعنا ان نثبت لهم ان الذين فقدوهم لم يزالوا في قيد الوجود وقد خلعوا الاجساد الترابية ولا يزالون احياء يرونهم ويحبونهم كما كانوا وهم في هذه الحياة الدنيا ولو لم يروهم وانهم قد يشعرون بوجودهم حولهم وشعورهم هذا حقيقي لا ريب فيهِ ولا هو من قبيل الاوهام — لو استطعنا ان نثبت ذلك للحزانى لوجدوا فيهِ اكبر عزاء . واي دليل على اثباتهِ اقوى من شهادة كبار العلماء والمفكرين مثل السر اولفر لدج والسر وليم بارت وغيرهما من كبار العلماء الذين لم يكونوا يصدقون ما يقال عن مناجاة الارواح . فبحثوا وحققوا حتى اقتنعوا وشهدوا ان التكلم مع ارواح الموتى امر حقيقي لا ريب فيهِ وان الروح لا تموت

وقد يقول قائل ان كان الامر كذلك فلماذا لا يتاح لنا نحن ايضاً ان نتكلم مع ارواح

موتانا . والجواب ان الذين يطلبون الوصول الى ذلك بالايمان والصبر يتغلبون على المصاعب التي تحول دونهُ و يصلون اليهِ ويتكلمون مع الذين فقدوهم ويعلمون حينئذٍ ان النفوس لا تموت

ومن اول الادلة على نفي الموت واستمرار الحياة صُوَر الارواح الفوتوغرافية ولاسيما الصور التي تصوَّر في الظلام (سكوتوغراف) لان في هذه الصور ادلة محسوسة لا تبقي مجالاً للريب . اما نحن فنعلم عن ثقة ان الذين فقدناهم لا يزالون معنا يشاهدوننا ويحادثوننا واما الذين يشكُّون في ذلك فلا يصدقون قولنا ما لم يسمعوا بآذانهم كلام الارواح كما نسمعهُ نحن ولكنهم اذا شاهدوا للارواح صوراً شمسيَّة او ليلية (فوتوغراف او سكوتوغراف) تُصوَّر حيث لا يحتمل الغش كما سيأتي يضطرون ان ينفوا ما يخامرهم من الشك وما يتَّهم بهِ المصدقون بمناجاة الارواح من التوهُّم والتخيُّل

ولقد رغب اليَّ ابي مراراً في ان يتصوَّر معي صورة فوتوغرافية تكون دليلاً آخر يضاف الى الادلة الكثيرة التي اقامها لي على انهُ لا يزال في قيد الوجود . ثم سنحت الفرصة منذ بضعة اسابيع لكي اتصورهُ . فانني ذهبت الى بلدة كرو والتقيت هناك بمسز بكستن ومسز هوب وكلتاهما من النفسيين الذين مُنحوا الحالة النورانية اللازمة لتصوير الارواح . وكنت قد اشتريت رزمة من الواح التصوير من لندن واخفيتها معي من غير ان افتحها . وكان هناك المستر هوب زوج احداهما وهو مصور فوتوغرافي جوَّال ووكيل شركة من شركات السوكرتاه فقابلني في بيت مسز بكستن وهي وزوجها من البسطاء في معيشتهم فجلسنا حول مائدة وضعتْ عليها رزمة الواح التصوير . وكنتُ قد تركت في بيت المستر وركر مخضر هو وزوجتهُ وجلسا معنا حول المائدة . وغاب المستر هوب اي نام النوم المغنطيسي حالاً وحضر الروح المحرك لهُ واسمهُ ماسا وجعل يوعز اليهِ وهو يرشدنا الى ما يجب ان نعملهُ . فطلب مني اولاً ان افحص آلة التصوير جيداً ففحصتها ثم ان اذهب مع المستر هوب الى الغرفة المظلمة وافتح رزمة الواح التصوير فيها وآخذ منها لوحين واكتب عليهما اسمي واضعهما في البرواز واراقبهُ الى ان يوضع في آلة التصوير ثم اخرجهما من الآلة واظهرهما بنفسي . ففعلت ذلك بيديَّ التي رزمة الالواح حتى تمغنطت ثم اخذتُها وسرت مع المستر هوب الى الغرفة المظلمة وكان قد افاق من غيبوبتهِ وفعلت حسبما ارشدني تماماً فظهرت صورتي في لوح التصوير ولم يظهر اثر لصورة ابي ولكن ظهرت مع صورتي صورة امرأة كانت صديقة لابي وقد توفيت قبلهُ ببضع سنوات وظهرت صورتها مرة مع صورتي قبل وفاتها . ثم اني لففت بقية الواح التصوير واخذتها معي ولم أحوِّل نظري عنها ولا تمت ابقيت يدي عليها حتى لا يبقى مجال للظن ان احداً ابدل لوحاً منها

وفي اليوم التالي وهو الاحد عرضت اربعة الواح وجربت في عرضها واظهارها كما جربت في اليوم السابق فظهرت على احدها صورة تلك الامرأة وصورة رجل يشبه أبي ولكنهُ اصغر منهُ سنًّا . ثم لفتت بقية الالواح واخذتها معي . وفي المساء جلسنا لاجل التصوير الليلي . والالواح التي تظهر الصور عليها كذلك لا توضع في آلة التصوير بل تبقى ملفوفة كما تشترى . فاشتريت زرمة جديدة من الواح التصوير ملفوفة بورق اسمر ومختومة ووضعتها على المائدة وجلسنا حولها انا ومسز هوب ومسز بكستن ومس ووكر ونام المستر هوب اي اصابتهُ الغيبوبة ومختنا الزرمة بوضع ايدينا عليها وقيل لي حينئذٍ ان ارفع الزرمة بيدي اليسرى وامسَّ باسفلها جبهة مسز هوب ففعلت وقيل لي ايضًا ان افتح الزرمة حالما يفيق المستر هوب من غيبوبته وأخرج منها اللوحين اللذين على وجهها واضعهما في البرواز وادع المستر هوب يصور في صورتين بنور يظهره بغتةً مبقيةً بقية الصور في يدي ثم أظهر هذين اللوحين وأظهر ايضًا لوحين آخرين من اسفل الزرمة التي في يدي . ففعلت كما امرت تمامًا واذا على احد الالواحين اللذين وقع عليهما النور صورة رأس رجل لم يعرف من هو وعلى احد اللوحين اللذين اخرجتهما من اسفل الزرمة ولم يكونا قد وضعا في برواز آلة التصوير الكتابية التالية بعضها بالفرنسوية واكثرها بالانكليز ومعناها

« سعدت مساء يا صديقي العزيز مرحبًا بك

« يا اصدقائي كلكم

« اشجت بخاطر صديقنا وانا آسف لان صديقنا ستد لا يقدر ان يكتب الآن كتابة الارواح ولكن لا تستعجلوا فان عندنا صورة صديقنا ستد وصديقيه . التحيات للجميع وايضًا مس سكتشارد

« صديقكم كولي

« وهنا صديق آخر يود التكلم وقد اغتنم هذه الفرصة لذلك

« ايها الاصدقاء الذين في هذه الخلقة

« انا معكم وانتظر وارجو ان يصفو لنا الزمان بالاجتماع معكم

« صديقكم ووكر الى اللقاء

اما اللوح الآخر فلم يكن عليهِ شيء مطلقًا . وكولي المذكور هنا رئيس شمامسة ارتشديكن) وكان مغرمًا بالبحث في هذا الموضوع وقد توفي سنة ١٩٠٢ . ولا يحتمل ان تكونَ هذه الكتابة منقولة عن كتابة كتبها في حياتهِ . واخط خطهُ والتوقيع توقيعهُ بلا

ريب كما يظهر من المقابلة بخطهِ حينما كان على الارض . وكذلك خط المستر ووكر مثل خطهِ

ولما رأيت ان ابي لم يقدر ان يكتب أسقط في يدي ثم اوضح لي السبب بقولهِ انهُ احتاط من تصويرهِ مرتين قبل ذلك حتى صار يستحيل عليهِ ان يكتب ولكنهُ سيكتب حالما تحين الفرصة المناسبة

وصباح الاثنين جلست الجلسة الاخيرة وأحضرت معي رزمتي الواح التصوير ولم أكن افارقها وقيل لي ان آخذ لوحين من احداهما فاخترت الرزمة التي اخذت منها الالواح للصور الليلية وفحصت آلة التصوير واظهرت الصور بيدي فظهرت امامي صورتان لابي تشابهانهِ تماماً ولم ارَ لهُ صورة فوتوغرافية تماثل هاتين الصورتين حتى يقال انها وضعت امام اللوح قصد الخداع وزد على ذلك ان ابي نفسهُ خاطبني وقال لي ان هاتين الصورتين صوّرتا عن ذاتهِ فعلاً ولا اطلب من احد ان يصدق قولي هذا لمجرّد انهُ قولي ولكن ان كان احد يستطيع ان يظهر صورة ابي على الواح التصوير خداعاً فليفعل . ثم ما قول المشكك في الصورة الليلية التي صورت في الظلام

هذا وما اكثر الذين ناجوا الارواح وخاطبوها ورسمت لهم الارواح كثيراً من الكتابات في الظلام باليونانية واللاتينية وغيرهما من اللغات . وقد اجتزيت عن ذلك كلهِ بما ذكرت مما اخترتهُ بنفسي عسى ان يكون فيهِ ما يشجع كل من فقد عزيزاً حتى لا يحزن عليهِ بل يعتقد انهُ لا يزال حيًّا ويستطيع ان يخاطبهُ اذا صبر وآمن واجتهد

اما الذين قُتلوا في هذه الحرب فقد قال ابي لي عنهم ان كثيرين يعتنون بهم وانهُ قد انتظمت جماعات فيها من الشبان الذين توفوا فجأة لكي يعتنوا بالذين يقتلون من شبابنا وشبان غيرنا من الامم وقد وصل هؤلاء والبعض منهم في حالة الذهول والبعض في حالة الجوع ولكن الجماعات تعتني بهم كلهم وهم الآن ليسوا في حالة تأذن لهم برؤية اقاربهم ولا بدَّ ما تمضي مدة قبلما يتيسر لهم ذلك . واذا افتكرنا فيهم وصلينا لاجلهم ساعدهم على الخلاص من الذهول الذي هم فيهِ ومتى خلصوا منهُ جعلوا يساعدنا برغائبهم

واهم ما وجد ابي فكري اليهِ هو ان الجميع يودُّون ان يقنعوا الذين يكونهم في هذه الدنيا بانهم لم يموتوا او كما قال السر اوليفر لدج « انهم يودون ان اصدقاءهم واحباءهم لا يغالون في الحزن عليهم ولا يحسبون انهم تلاشوا . الحزن على فراق الاحباء امر طبيعي ولكن الافراط فيهِ يؤلمهم . فانهم قاموا بما يطلب منهم هنا وسيقومون بما يطلب منهم هناك وهذا الفراق سيعقبهُ التلاقي حتماً واذا تحقق الناس هذه الامور قلَّ الحزن وامتزج بالرجاء »

انتهى ما كتبتهُ ابنة ستد . وما يقال عن بقاء الانفس بعد موت الاجساد واعلالها لا يناقضهُ العلم الطبيعي ولا يخالفهُ وقد يساعد على تأييدهِ بمبدإ بقاء القوة واستحالة التلاشي . فان افكار الانسان كلها قوات تصدر منهُ و بحسب العلم الطبيعي يحتمل ان تتحوَّل الى قوى اخرى كما تتحول الحركة الى كهربائية والكهربائية الى حركة ويحتمل ان تجتمع في مكان ما في هذا الكون فتحفظ لكل امرئ افكارهُ التي فكَّر فيها وهو في هذه الحياة الدنيا . ولكن تصوير جسد الانسان صوراً فوتوغرافية وليس امام آلة التصوير لا جسدهُ ولا صورتهُ منقوض بما يعلم من نواميس العلم الطبيعي لان التصوير الشمسي اي التأثير الكيماوي في الالواح المعدة للتصوير الشمسي يقتضي ان تنعكس اشعة النور عن جسم يعكسها ونقع على لوح التصوير لتؤثر فيهِ التأثير الكيماوي الذي يجعل الصورة ترتسم عليهِ . ولو وُجد هذا الجسم الذي يعكس اشعة النور لرآهُ الحضور بالنور الذي ينعكس عنهُ

هذا وقد ابنا في مقتطف يناير سنة ١٩١٤ ان المستر ستد كتب سنة ١٩٠٩ مقالة مسهبة في مجلة النور تتبتلي الانكليزية ذكر فيها انهُ صُوِّر مرةً صورة فوتوغرافية فظهرت معها صورة رجل من قواد البوير الذين قتلوا في حرب البوير . وكان المصور لهُ من الذين يدعون تصوير الارواح واعتقد ستد انهُ لم يخدعهُ وان صورة ذلك القائد لم تكن معروفة في انكلترا . ولكن الدكتور تكت اثبت بعدئذٍ ان صورة ذلك القائد كانت معروفة مشهورة في بلاد الانكليز وقد نشر في جريدة الغرافك التي صدرت في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ اي قبل صورت صورة ستد المشار اليها آنفاً بعشر سنوات وكتب تحتها اسم ذلك القائد وانهُ من قوَّاد البوير وقد قتل قرب كمبرلي

ثم تألفت لجنة من كبار الباحثين بطلب جريدة الديلي مايل سنة ١٩٠٩ فاثبتت بادلة فنية يعلمها المصورون ان الصور الفوتوغرافية التي فيها صورة شخص معلوم وصورة روح شخص آخر من الموتى انما هي مصوَّرة مرتين لا مرة واحدة . فلم تبقَ شبهة في ان المصورين الذين يدَّعون تصوير الارواح محتالون يخدعون الناس بانعامهم اي انهم يتمكنون احياناً بحيلهم من اخذ اللوح الذي صورت عليهِ صورة الشخص المراد ويصورون عليهِ صورة اخرى مشاة لتظهر كأنها صورة خيالية لشخص آخر من الاموات

اما كيف يخدع رجل مثل ستد وسيدة مثل ابنتهِ فسنأتي على ايضاحهُ في مقالة اخرى نشرناها في مقتطف فبراير سنة ١٩١٤ وربما عدنا الى هذا الموضوع في فرصة اخرى